# ملكية الأرض والزراعة في المستعمرات الإنجليزية في العالم الجديد حتى حرب الاستقلال

الاستاذ الدكتور هاشم صالح التكريتي*

أخذ الأنجليز منذ أن اكتشف العالم الجديد يسعون الى الاستيطان هناك وتأسيس مستعمرات لهم في الأرض الجديدة، غير أن جميع المحاولات التي بذلوها في هذا الشأن قبل بداية القرن السابع عشر ومنها الامتياز الذي منحته الملكية اليزابيث الأولى لكل من جيليرت ورايلي بتأسيس مستعمرة في أمريكا كان نصيبها الفشل الأمر الذي اقنع ذوي الشأن بان الاستيطان في العالم الجديد هو مشروع ضخم لا يستطيع القيام به أشخاص منفردون ودفعهم الى التفكير بأسلوب جديد للاستيطان يقوم على إنشاء شركات تجارية خاصة لهذا الغرض. وعلى هذا الأساس أنشئت شركتا لندن وبلايموث اللتان حصلتا من الملك جيمس الأول الذي تولى العرش الإنجليزي بعد وفاة اليزابيث الأولى عام ١٦٠٣ على براءة باستيطان الساحل الأمريكي المطل على المحيط الأطلسي حيث منحت الأولى أي شركة لندن المنطقة المحصورة بين خطي عرض ٣٤ و ٣٨ شمالا في حين منحت الثانية أي شركة بلايموث المنطقة المحصورة بين خطي عرض ٤١ و ٤٥ شمالا، أما الأراضي المحصورة بين هاتين المنطقتين والواقعة بين خطي عرض ٣٨ و ٤١ شمالا فقد ظلت خارج نطاق سلطة أي من الشركتين[1]. وبعد صعوبات جمة واجهها المستوطنون وفشل العديد من محاولات الاستيطان أمكن إقامة بعض

---

* استاذ التاريخ الحديث في قسم التاريخ / كلية الآداب – جامعة بغداد.

(1) H. S. Commager, (ed.), Documents of American History, New York 1944, PP. 8 - 10, C. P. Nettels, Roots of the American Civilization. A History of Colonial Life, New York 1940, P. 111.

المستوطنات على الساحل الأمريكي الشرقي، حيث استطاعت شركة لندن في ١٦٠٧ تأسيس أول مستوطنة إنجليزية دائمة في أمريكا عندما أنشأت مدينة جيمستاون التي أصبحت عاصمة لمستعمرة فرجينيا.

بعد هذا النجاح اخذ أفراد الحاشية وأنصار الملك السياسيون والأغنياء الذين يلجأ التاج الى الاقتراض منهم في الأزمات يسعون للحصول على براءات من الملك تخولهم امتلاك أراضي في أمريكا وتأسيس مستعمرات فيها. وكان الملك الإنجليزي يتصرف بالأرض الأمريكية، كتصرفه بأرض إنجلترا، وفق القاعدة التي ينص عليها القانون الإنجليزي والتي تقضي (بان الأرض التي لا مالك لها تعتبر ملكا للملك)[٢] فيمنح لمن يشاء، براءات بامتلاك أجزاء منها متجاهلا أن الأرض التي يمنحها لإقامة مستعمرات فيها تقطنها قبائل من الهنود الحمر كانت قد سكنت هناك قبل أن يأتي الإنجليز بآلاف السنين.

وهكذا اصبح العديد من الأرستقراطيين وأصحاب الثروة مالكين لمستعمرات جديدة أسسوها في العالم الجديد فحلوا محل الشركات التجارية التي سبق ذكرها والتي جرى إلغاؤها بعد أن أصبحت مشروعات غير مربحة.

تعد مستعمرة ميلايلاند التي أطلق عليها هذا الاسم نسبة الى الملكة الإنجليزية ميري[٣] نموذجا تقليديا للمستعمرات التي تأسست بهذه الطريقة[٤].

---

(٢) آلن نفنز وهنري ستيل كومجر ، تاريخ الولايات المتحدة الامريكية نقله الى العربية مصطفى عامر ، دار مصر للطباعة (د. ت.) ص ١٥ .

(٣) تولت العرش الانجليزي في المدة ١٥٥٣-١٥٥٨ . وكانت شديدة التعصب للمذهب الكاثوليكي وقد اعادته في انجلترا في ١٥٥٤ بعد ان كان ابوها هنري الثامن قد فصل الكنيسة الانجليزية عن كنيسة روما ، وقد اقترنت اعادة الكاثوليكية الى انجلترا بموجة اضطهاد عنيفة ضد انصار الاصلاح الديني استحقت ميري نتيجتها لقب (ميري الدموية Bloody Mary) .

(4) W. H. Brown, Maryland. The History of A Palatinate. Boston, 1888.; G. C. Lee (ed), The History of North America, Volume Four, The Colonization of The Middle States and Maryland, by: Fredrick Robirtson Jones, Philadelephia, 1904.

فصاحب مشروع تأسيسها هو جورج كالفيرت ، لورد بالتيمور، كان عضوا في المجلس السري وواحدا من انشط انصار الملك شارل الاول في البرلمان وكان كاثوليكيا استقال من منصبه ووجه اهتمامه نحو تأسيس مستعمرة في امريكا (يستطيع اخوانه في المعتقد [الكاثوليك] ان يذهبوا اليها على امل العيش بسلام)[٥] ذلك ان الكاثوليك في انجلترا كانوا انذاك يعانون من قوانين صارمة سنتها الحكومة ضدهم في تلك المرحلة. وقد حصل جورج كالفيرت من الملك على براءة تمنحه ارضا على جانبي تشيسابيك لكنه توفي في نيسان ١٦٣٢ قبل ان تصدر البراءة رسميا، ولهذا فانها صدرت باسم ابنه سيسيليوس كالفيرت ، لورد بالتيمور الثاني، وذلك في حزيران ١٦٣٢.

لقد منحت البراءة بالتيمور حقوقا وامتيازات واسعة لم يسبق للملك الانجليزي ان منحها لاي كان من قبل. لقد كانت هذه الحقوق واسعة الى درجة بحيث جعلت ميريلاند اشبه بالامارة المستقلة لاتربطها بالتاج الانجليزي الا التزامات السيادة الاقطاعية فقد اعطت بالتيمور الحق في سن القوانين ومنح المناصب والالقاب وتعيين الحكام والقضاة وانشاء وحدات ادارية واعلان الحرب وعقد الصلح واعلان الاحكام العرفية، واصبح بالتيمور بموجبها المالك المطلق للارض التي منحت له يحق له التصرف بها بالشكل الذي يراه بما في ذلك حقه في منحها لمن يشاء من الاشخاص على ان يلتزم الشخص الذي تمنح له باداء الواجبات الاقطاعية التي يراها بالتيمور مناسبة كالاتاوات الاقطاعية والريع وغير ذلك. وقد حصل بالتيمور على كل هذه الحقوق مقابل اتاوة سنوية رمزية هي عبارة عن سهمين من سهام الهنود كان عليه ان يرسلها في عيد الفصح من كل سنة الى مقر الملك الانجليزي في قلعة ونرسور تأكيدا لتبعيته له بالاضافة الى التزامه بأقتطاع خمس ما يستخرج من الذهب لصالح التاج في حالة ما اذا اكتشف الذهب في تلك الارض[٦]. وعمد بالتيمور الى تقسيم اراضي ميريلاند الى ٦٠

---

(5) A. C. Mclaughlin, A History of the American Nation NewYork-Chicago 1913, P. 41.

(6) Commager, Op. Cit. PP. 21-22

وحدة ادارية اطلق على كل منها اسم Manor وهو الاسم الذي كان يطلق على الوحدات الادارية في النظام الاداري الانجليزي القديم وشكل في كل من هذه الوحدات محكمة بارونات تتألف من المعمرين الاحرار من صلاحياتها النظر في النزاعات التي تحصل حول الارض(٧).

اراد بالتيمور ان يشجع الناس على الاستيطان في ميريلاند فعرض على كل من يأتي للسكن فيها ١٠٠ ايكر من الارض لرئيس العائلة و١٠٠ ايكر للزوجة ولكل واحد من الخدم بالاضافة الى ٥٠ ايكرا للطفل، وكان يمنح ١٠٠٠ ايكر من الارض لكل من يجلب معه خمسة مهاجرين زادها فيما بعد الى ٢٠٠٠ ايكر(٨). لقد شجع بالتيمور بشكل خاص الكاثوليك، اخوانه في المعتقد على الاستيطان في ميريلاند وبالفعل فقد كان اكثر الاعيان الذين ذهبوا الى هناك في اول الامر من الكاثوليك(٩) حيث احتلوا هناك وضعا سائدا.

لقد كان بالتيمور يتمتع في ميريلاند بسلطة غير محدودة تقريبا والارض التي كان يوزعها على المعمرين ظلت من الناحية الاسمية ملكا له لان المعمرين كانوا يتسلمونها منه على اساس الايجار الوراثي وكانوا ملزمين بان يدفعوا له في كل سنة ايجارا ثابتا كان في البداية عينيا مقداراه ٢٠ باونا من الحنطة عن كل ١٠٠ ايكر من الارض ثم اصبح نقديا بمقدار ٢ او ٤ شلنات عن كل ١٠٠ ايكر من الارض(١٠).

كان الوضع مشابها لذلك في بعض المستعمرات الاخرى التي تأسست بعد ميريلاند ولاسيما في بنسلفانيا التي انشأها وليم بن الذي كان ينتمي الى جماعة

---

Brown, Op. Cit. PP. 18-19; M.P. Andrews, The Founding of Maryland, NewYork-London, 1933, PP. 36-46.

(7) A. A. Fursenko, "Razvitie Selskovo Khazyaistva , V. Koloniyakh", V.. Akademiya Nauk SSSR. Institut Istorii, Ocherki Novoi , I. Novoishei Istorii SSHA, Tom1, Moskva 1960, P. 18.

(8) Ibid. P. 18.

(٩) نفنز وكرمجر ، المصدر السابق، ص ١١-١٢ .

(10) Fursenko, Op. Cit. P. 173. Andrews, Op. Cit. P.173.

دينية اسمها جماعة الاصحاب quakers وهي جماعة تأسست في انجلترا عام ١٦٢٤ عرفت بمحبة السلم والدعوة له حيث تتطلب مبادؤها من الاعضاء ان لايحاربوا ولايؤيدوا الحرب[١١]. ففي ٤أذار منح الملك شارل الثاني عائلة بن التي كان التاج مدينا لها بمبلغ كبير بمقاييس ذلك الوقت مقداره ١٦ ألف جنيه استرليني براءة بامتلاك الارض الامريكية الواقعة بين خطي عرض ٤٠ و ٤٣ شمالا مقابل ذلك الدين. وفي تشرين الاول من السنة التالية سافر بن الى ارضه في امريكا واسس هناك مدينة فيلاديفيا وقد صاحبته الى هناك مجموعة من المعمرين من طائفة الكويكرز التي احتلت في المستوطنة الجديدة وضعا سائدا كالذي احتله الكاثوليك في ميريلاند. وبدأ المهاجرون يتوافدون على المستوطنة الجديدة بحيث بلغ عددهم فيها في خلال سنة من مجيء بن مايقرب من ٤ ألاف أوربي هم بالدرجة الاولى من الهولنديين والفنلنديين والسويديين[١٢]. وقد اصبح للهجرة الألمانية فيما بعد دور كبير الى جانب الكويكرز الانجليز في استيطان هذه المنطقة التي اصبحت تعرف ببنسلفانيا نسبة الى بن. ومن اجل تأمين اليد العاملة للمستعمرة وضع بن بيانا عن الاقليم الذي يمتلكه في امريكا وفوائده ونشره على نطاق واسع في انجلترا واقطار القارة الاوربية الاخرى واصدر مجموعة من الشروط والامتيازات تتعلق بتنظيم استغلال الارض وبالهنود وبغير ذلك من المسائل[١٣]. ثم قام برحلة الى المانيا ونشر هناك بين الفلاحين والحرفيين اعلانات حاول فيها ان يغريهم بالهجرة الى امريكا والاستقرار في مستعمرته حيث وعد كل من يهاجر الى امريكا ويستقر في بنسلفانيا بـ ٥٠٠ ايكر من الارض وقد وافق بعض الفلاحين والحرفيين على الهجرة الى امريكا تخلصا من الاستغلال الواقع عليهم أنذاك وتسلموا هناك بالفعل الارض التي وعدوا بها لكن كان عليهم ان يدفعوا لمالكها ايجارا سنويا نقديا وعينيا[١٤].

---

(١١) ستيفن فنست بنيه ، امريكا ، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ، القاهرة ١٩٤٥ ص ٣٣.

(12) Fursenko, Op. Cit. P. 18.

(13) Commager, Op. Cit. PP. 35-36.

(14) Fursenko, Op. Cit. P. 19.

بهذه الطريقة وباعتماد اساليب دعائية هي (اقرب ماتكون الى وسائل الدعاية الحديثة) [١٥] أمن بن لمستعمرته سيلا من المهاجرين كان يزداد في كل سنة حتى بلغ عدد من استقر هناك في نهاية المرحلة الكولتيالية ٣٠٠٠ شخص من مختلف القوميات والعقائد والمهن[١٦].

كان الوضع في الكارولينيتين الشمالية والجنوبية اللتين سميتا بذلك نسبة الى الملك شارل الثاني يختلف عما هو عليه في ميريلاند وبنسلفانيا فملكية الارض اسميا لاتعود هناك الى مالك واحد وانما الى عدة ملاك من اصحاب الخطوة لدى الملك كان شارل الثاني قد منحهم في ١٦٦٣ براءة باستيطانهما. لقد اقيمت هاتان المستعمرتان على اسس اقطاعية دقيقة تضمنها دستور وضع خصصا لذلك في انجلترا. لقد نص هذا الدستور الذي اطلق عليه اسم **الانظمة الاساسية** على انشاء نظام هرمي وفق الاسلوب الاقطاعي المعروف سواء في النظام السياسي في المستعمرتين او في توزيع الارض فيهما.

ولكن محاولة اقامة نظم اقطاعية في الكارولينتين كان مصيرها الفشل وذلك لوجود اراضي شاغرة واسعة غير مستغلة تعزز لدى المعمر نزعته لعدم الاعتراف بملكية أي كان للارض التي يزرعها غير ملكيته هو. فكيف يمكن ربط الفلاح بالارض في الوقت الذي كانت فيه امامه امكانية الانتقال الى ارض غير مستغلة فيصبح مزارعا حرا. والواقع ان هذه الامكانية كانت السبب الاساس الذي يجبر الفئات المتنفذة في المستعمرات على انتهاج سياسة حرة وعلى التساهل في الامور الخاصة بملكية الارض وفي الشؤون الدينية وغير ذلك من الامور (تبعا لمطالب الشعب التي يؤيدها التهديد الصريح او الضمني بالهجرة الجماعية الى المناطق الداخلية)[١٧].

---

(١٥) فرانسيس وايتني ، موجز التاريخ الامريكي ، تعريب مركز الاستعلامات الامريكية ، القاهرة ، د. ت. ، ص ١٣.

(16) United States Information Service (ed.), An Outline of Americam History, 1953, P.14.

(١٧) فرنسيس وايتني ، المصدر السابق ص ٢٣ : انظر ايضا :

ان ذلك بالذات كان العامل الاساس في فشل محاولة زرع الانظمة الاقطاعية في الكارولينتين لانه كان يجبر العناصر الاقطاعية على التراجع عندما تتأزم الامور بينها وبين المعمرين ولهذا فان التبعية الاقطاعية ظلت اسمية فقط.

والواقع ان النزاع بين المعمرين والعناصر الاقطاعية كان يؤلف جانبا اساسيا من جوانب العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في المستعمرات الامريكية قبل حرب الاستقلال. كما ان الصراع مع المعمرين ومحاولة اخضاعهم كان يمثل مكانا مهما في سياسة المتربول والسلطات الكولنيالية في المستعمرات على السواء. فكانت الحكومة الانجليزية حريصة باستمرار على الانحياز الى المالكين ضد المعمرين ففي ١٦٨٣ مثلا منعت الافراد من شراء الارض من الهنود وهدفها من ذلك ايقاف الانتقال نحو الغرب، وفي ثلاثينيات القرن الثامن عشر اصدر المجلس الملكي الاعلى مرسوما منع فيه الانتقال الكيفي الى مناطق جديدة والاستيلاء على الارض والخروج خارج نطاق المستوطنات الحدودية[١٨]. وكانت السلطات الرسمية في المستعمرات تسعى جاهدة لتنفيذ هذه القرارات والمراسيم، مما يجعلها في مواجهة المزارعين الامر الذي كانت له انعكاساته على الاستقرار في المستعمرات.

وهكذا حفلت المستعمرات بنزاعات حادة حول الارض بين المزارعين ومالكي الارض وكان للاحداث الثورية التي جرت في انجلترا اثر كبير في اذكاء الصراع بين الجانبين[١٩] حيث ادت الى تعزيز واتساع الحركة الشعبية في المستعمرات ضد العناصر الارستقراطية المهيمنة. لقد اتضح ذلك بشكل خاص في ميريلاند التي اقترنت فيها حركة الجماهير من أجل الغاء الايجار بنضالها من اجل اشاعة الديمقراطية في حكم المستعمرة لاسيما وان آل بالتيمور حاولوا ان يجعلوا من ميريلاند بلادا ارستقراطية بالمعنى التقليدي كما كانوا يحلمون بحكمها والتمتع

---

United States Information Service, OP. Cit. P. 18.

(18) Fursenko, OP. Cit. P. 19.

(١٩) حول تأثير الثورة الجليلة مثلا على المستعمرات انظر:

G.H. Guttridge, The Colonial Policy of William III in America and the West Indies, Cambridge 1922,PP.1-40.

فيها بما يتمتع به الملوك من امتيازات وحقوق[٢٠] لكن آل بالتيمور لم يستطيعوا تحقيق أحلامهم هذه فقد اضطروا تحت ضغط الحركة الشعبية الى الموافقة على ان يتولى بروتستانتي حكم المستعمرة.

وفي المرحلة المحصورة بين ١٦٥٤ و ١٦٨٩ شهدت ميريلاند خمسة صدامات مسلحة وقد جرد آل بالتيمور خلال هذه المدة مرتين من حقهم في حكم المستعمرة وبالتالي من حقهم في تسلم ايجار الارض ولكنهم استطاعوا في المرتين استعادة سلطتهم وظلوا حتى حرب الاستقلال يملكون ميريلاند ويتسلمون ايجار الارض وغيره من الاتاوات[٢١].

وكانت المعارضة للسلطة الاقطاعية اكثر شدة من ذلك في الكارولينيتين حيث تركز النضال هناك ضد تطبيق **الانظمة الاساسية** وكان مما ادى الى اتساع هذا النضال ان بعض اجزاء الاراضي التي منحت من قبل الملك لمستوطني الكارولينيتين كانت قد استوطنت قبل ذلك من قبل مستوطنين من فرجينيا ولم يقبل هؤلاء الاعتراف بالمالكين الجدد. على كل حال كانت المعارضة **للانظمة الاساسية** شديدة الى درجة اضطرت السلطات معها الى الغاء تلك الانظمة في سنة ١٦٩٨. ولكن ذلك لم ينه الصراع القائم في المستعمرتين.

والواقع ان الصراع كان ظاهرة عامة في جميع المستعمرات فحتى بنسلفانيا التي تميز مؤسسها بن بنزعته الانسانية لم تخل منه اذ لم تلبث المعارضة لعائلة بن ان قامت واستمرت بالاتساع الى درجة بحيث، ارسل سكانها في ١٧٦٥ أي عشية حرب الاستقلال بنيامين فرانكلين الى انجلترا ليطلب الغاء ملكية آل بن للمستعمرة[٢٢].

---

(٢٠) وايتي ، المصدر السابق ص٢١

(21) Fursenko, OP. Cit. P. 20

Brown, OP. Cit.

(22) E. Wright, Fabric of Freedom 1763-1800 NewYork 1961, P.4.

لم ينته الصراع بين مالكي الارض ومستأجريها بل تعقد اكثر بسبب مطالبة سكان المستوطنات الحدودية بتنظيم حماية كافية لها ضد هجمات الاسبان في الجنوب وضد الهنود في الغرب.

ان تطور الاستيطان كان يتطلب التقدم باستمرار نحو الغرب واشغال اراضي جديدة وكان ذلك يؤدي بالطبع الى مصادمات مستمرة مع الهنود الذين كان المعمرون يستولون على اراضيهم. وكانت هذه المصادمات تتحول في بعض الاحيان الى حروب طويلة بين الجانبين. لقد تميز النزاع بين سكان الحدود والهنود بقسوة شديدة من جانب المعمرين الذين (حملوا كرها شديدا لسكان البلاد الاصلين ونزعوا دوما" للقضاء عليهم)[٢٣].

وطبيعي ان السلطات في المستعمرات كان يهمها لدرجة ما استقرار الوضع عند سكان المناطق الحدودية ذلك ان هؤلاء السكان كانوا يؤلفون حاجزا ضد الهنود لكن تقدم المعمرين غربا وما يؤدي اليه من نزاعات دائمة مع الهنود كان يعيق التجار والموظفين عن تطوير تجارة الفراء التي كانت مربحة جدا، يضاف الى ذلك ان النزوح نحو الغرب والاستيلاء على اراضي جديدة هناك كان يجرد مالكي المستعمرات من امكانية ترسيخ سلطتهم الاقطاعية ومن فرض الانظمة التي يريدونها على سكان مستعمراتهم ولهذا كانت السلطات ترفض في اغلب الحالات الاستجابة لمطالب المزارعين بشأن تخصيص الاموال اللازمة لتنظيم الصراع ضد الهنود. فكان ذلك الى جانب خشونة سكان الحدود ورغبتهم في التخلص من القيود التي تفرضها عليهم السلطة واستعدادهم للدفاع عن حقوقهم ونزعتهم الديمقراطية مما جعل الصراع بينهم وبين سلطات المستعمرات يتفاقم ويتسع ويتحول الى واحدة من اهم الظواهر في حياة المستعمرات الانجليزية في العالم الجديد في تلك المرحلة. فقد اشتد الصراع في الكارولينيتين مثلا بين مالكي المستعمرتين وسكان الحدود واستغرق عدة عقود من السنين وانتهى في ١٧١٩ بحملة قام بها

---

(٢٣) رولان موسينية واخرون ، تاريخ الحضارات العام ، القرن الثامن عشر،عهد الانوار نقله الى العربية يوسف داغر ، فريدم داغر الطبعة الثانية بيروت – باريس ١٩٨٧ ص ٣٥٠ .

الحدوديون المسلحون على تشارلستون عاصمة كارولينا الجنوبية. وقد ادى هذا الصراع الى جانب عوامل اخرى كما ذكرنا الى الغاء الانظمة الاساسية وشراء التاج للكارولينيتين من مالكيها وتحويلها الى اقليمين ملكيين[٢٤].

غير ان ذلك لم يغير من الوضع كثيرا فقد تواصل الصراع بين الفئة المتنفذة المسيطرة على المستعمرات وصغار مزارعي الغرب طيلة مرحلة الاستيطان وادى اكثر من مرة الى ثورات مكشوفة[٢٥]، كانت اكبرها انتفاضة ١٦٧٦ في فرجينيا بقيادة ناتانيل بيكون[٢٦]، والانتفاضة التي قادها وليم برندركاست في نيويورك في ١٧٦٥ والتي اعلن الثوار خلالها (حق الفقير الطبيعي في التساوي مع الغني في امتلاك الارض)[٢٧].

وهكذا اصبحت قصة امتلاك الارض في المستعمرات واحدة من اهم المشاكل القائمة هناك افرزت عددا من الصراعات والتناقضات كان اهمها التناقض الأخذ بالاتساع بين المحاولات التي تقوم بها السلطة لزرع المؤسسات الاقطاعية والاتجاه العام نحو التطور الرأسمالي وهو الاتجاه الذي ساد في المستعمرات الانجليزية وكان يتقوى ويتعزز بمرور الوقت الى ان ادى بالنتيجة الى فشل محاولات اقامة انظمة اقطاعية هناك.

ولكن لماذا أمكن نقل الاقطاع الى المستعمرات الفرنسية والاسبانية في العالم الجديد وزرعه في حين لم تنجح هذه العملية في المستعمرات الانجليزية في امريكا الشمالية ؟ علما بان الارض الشاغرة كانت موجودة ايضا في كندا والمكسيك وغيرها من المناطق التي استعمرتها فرنسا واسبانيا ولكن الفرنسيين والاسبان اقاموا فيها مزارع واسعة على اسس اقطاعية راسخة وكان مالكو الارض هناك يتسلمون من المزارعين الايجار الاقطاعي المألوف. ان السبب في

---

(24) Fursenko, OP. Cit. P. 21

(٢٥) انظر امثلة على هذه الثورات في : ستيفن فنسنت بنية ، المصدر السابق ص٤٢-٤٣ .

(26) انظر حول انتفاضة بيكون : فرانكلين آشر ، المصدر السابق ص ٢٧.
Fursenko, OP. Cit. PP. 22-23 ; Mclaughlin, OP. Cit. PP.37-39.

(27) Quoted in Fursenko, OP. Cit. P. 24.

ذلك يكمن في ان النظام الرأسمالي كان آنذاك قد انتصر في انجلترا الامر الذي ترتب عليه ان المهاجرين الانجليز الذين قدموا الى العالم الجديد كانوا ينقلون معهم الى هناك خصائص هذا النظام بعكس الفرنسيين والاسبان الذين كانت بلدانهم ماتزال في مرحلة هيمنة النظام الاقطاعي.

لقد انعكس الصراع حول ملكية الارض على جميع اوجه الاقتصاد الزراعي الاخرى علما بان الزراعة كانت الفرع الاساس لاقتصاد المستعمرات طيلة المرحلة التي سبقت حرب الاستقلال وبالتالي كانت الشغل الاول والرئيس للمهاجرين في تلك المرحلة.

وجه المستوطنون كل جهدهم في بداية الامر نحو تأمين المحاصيل الضرورية للحياة ونعني المحاصيل الغذائية التي كانت بالنسبة لهم مسألة حياة او موت، ولهذا فقد تطورت الزراعة منذ ان بدأ الاستيطان وظلت تتسع الى ان اصبحت الحرفة الاولى للمستوطنين فقد كان يشتغل فيها قبل حرب الاستقلال اكثر من تسعة اعشار سكان المستعمرات ولم يكن يسكن في المدن الا ٣,٣٪ منهم[٢٨].

لقد ساعدت على ذلك الظروف الملائمة التي وجدها المستوطنون الاوربيون في العالم الجديد، فعندما وصل هؤلاء الى الارض الامريكية لم يجدوا امامهم وفرة بالارض الخصبة الصالحة للزراعة والمياه اللازمة لذلك فحسب بل وجدوا ايضا عددا من المحاصيل الزراعية كان ينتجها السكان الاصليون هناك مثل الفول والطماطة واليقطين والبطاطة والذرة والتبغ التي كان الهنود يزرعونها منذ مدة طويلة قبل ان يبدأ الاستيطان الاوربي. وقد وجد ذلك الى جانب ماجلبه المستوطنون معهم بعد ان استقروا في الارض الجديدة من انواع الفواكه والخضروات[٢٩] تنوعا كبيرا في المحاصيل الزراعية التي كانت تنتج هناك.

---

(28) Fursenko, Op. Cit. P. 26.

C.P. Nettels, Op. Cit. p. 229.

(٢٩) انظر حول هذه المحاصيل

A.M. Schlesinger, D. R .Fox, (ed.), A History of American Life, vol. III Provincial Socitey 1690-1763, by J. T. Adams, The Macmilan Company 1927, P. 26-27.

كان المحصول الرئيس هو الذرة التي ظلت لفترة طويلة تؤلف الطعام الاساس للمستوطنين. والواقع ان الذرة كانت تتمتع بافضليات كثيرة جعلتها اكثر المحاصيل ملاءمة للظروف الجديدة التي وجد المستطنون انفسهم فيها في المرحلة الاولى من وجودهم على الارض الامريكية. وهذه الافضليات لاتكمن في سرعة النضوج الذي لايستغرق اكثر من ثلاثة اشهر ولا في وفرة الناتج حيث كانت الحبة تعطي سبعين ضعفا ولافي امكانية استغلال جميع اجزاء النبات سواء للاكل او لعلف الحيوانات او حتى استخدامها كفراش خشن ليس في كل ذلك فحسب بل ايضا وبالدرجة الاولى في سهولة زراعتها فليست هناك حاجة حتى لحراثة الارض عند زراعة الذرة، فقد كان الهنود يختارون منطقة قليلة الاحراش وينظفونها من الاشجار ثم يحرقون الاشجار التي قطعوها ويبذرون الذرة في الارض التي تكون قد تسمدت بالاشجار المحروقة. وهم عادة ما يزرعون بين شتلات الذرة محاصيل اخرى كاليقطين والفول. وقد تعلم المستوطنون الاوربيون من الهنود هذه الطريقة وظلوا يتبعونها لمدة طويلة[٣٠] ذلك انها تساعد على الاقتصاد في اليد العاملة وتعطي في المراحل الاولى نتيجة مرضية تماما.

لقد تطورت الزراعة في المستعمرات الانجليزية في العالم الجديد بشكل يختلف باختلاف الظروف الطبيعية السائدة في تلك المستعمرات. فقد انعكس الاختلاف القائم بين المناطق المختلفة في التربة وطبيعة الارض والمناخ على الزراعة بالطبع سواء في نوع المحاصيل الزراعية المنتجة او في طابع العلاقات الزراعية القائمة. والواقع اننا نستطيع ان نتبين هناك ثلاث مناطق اقتصادية متمايزة عن بعضها.

ففي الشمال في نيوانجلند كان الجو باردا والارض وعرة كثيرة الصخور والارض المستوية قليلة وتربتها رقيقة ولهذا فانها لم تكن تصلح للزراعة الواسعة الامر الذي كان له اثره على العلاقات الزراعية فسادت هناك الاستثمارة الصغيرة

---

(30) Nettels, Op. Cit. P. 230 ; Fursenko, Op. Cit. P. 26.

التي كان الانتاج فيها يحمل لدرجة ملحوظة طابع الانتاج القائم على الاكتفاء الذاتي ولكن وبمرور الزمن بدأ ينتشر هناك ايضا الانتاج لغرض التبادل التجاري ولاسيما في المناطق المتاخمة للمدن الواقعة على ساحل المحيط الاطلسي.

لقد كان الشغل الاساس للمزارعين في نيوانجلند انتاج المحاصيل الغذائية لسد الحاجة المحلية بالدرجة الاولى ولهذا فان هذه المنطقة لاتصدر مواد غذائية بل اتجهت الى التوسع في بعض الصناعات التي كانت تصدر منتجاتها بدلا من المنتجات الزراعية[٣١]. كذلك اتجه المزارعون هنا الى تربية الماشية ولكن على نطاق اضيق مما كان عليه الحال في المناطق الجنوبية علما بان الهنود في هذه المنطقة لم يكونوا، عندما قدم اليهم الأوربيون، قد عرفوا تدجين الحيوان فقد جلب المستوطنون الماشية من اوربا واخذوا يربونها هناك ولم تلبث ان اتسعت هناك تربية الخنازير والاغنام[٣٢].

وتؤلف المستعمرات الوسطى المنطقة الاقتصادية الثانية من المناطق الثلاث التي اشرنا الى وجودها في الممتلكات الانجليزية في امريكا الشمالية، وهذه المنطقة تلتقي فيها خصائص المنطقتين الأخريتين الشمالية والجنوبية فالى جانب الاستثمارات الصغيرة التي تتميز بها المنطقة الشمالية أي منطقة نيوانجلند كانت توجد هناك ايضا المزارع الكبيرة التي هي من خصائص المنطقة الجنوبية. وفي هذه المزارع جميعا كانت تزرع محاصيل مهمة كالكتان والشعير والشوفان والحنطة وكذلك التبغ الذي كان يزرع هناك للاستهلاك المحلي فقط؛ كما كان سكان هذه المستعمرات يربون الدواجن والماشية ولاسيما البقر والاغنام وكذلك الخيل[٣٣].

ويؤلف الجنوب حيث الظروف اكثر ملائمة للزراعة المنطقة الاقتصادية الثالثة. فوجود مساحات واسعة من الارض الخصبة جدا والمناخ الحار الملائم

---

(31) Nettels, Op. Cit. P. 229.

(32) Fursenko, Op. Cit. P. 27.

(33) Nettels, Op. Cit. P. 234.

ساعدت على قيام مزارع واسعة جدا يزرع فيها التبغ والرز والحنطة وهي محاصيل كان الطلب عليها كبيرا في السوق العالمي. كذلك كانت تربية الماشية تشغل جانبا مهما من نشاط المزارعين في الجنوب ولهذا كان الجنوب يعد مصدرا مهما من مصادر المنتجات الحيوانية. ففي ١٦٤٩ كان يوجد في فرجينيا وحدها ٢٠ ألف رأس من البقر وقد تضاعف هذا العدد في المدة من ١٦٤٩ الى ١٦٦٥ أي في ١٦ سنة فقط خمس مرات[٣٤]. اما في كارولينا الجنوبية فعلى الرغم من الوباء الذي اجتاح الجنوب عام ١٦٩٥ وقتل اكثر من مائة ألف رأس من الماشية كان الشخص بعد سنوات قليلة من ذلك (يذهل للعدد الكبير والزيادة السريعة) في عدد الماشية (حيث كان المزارع الغني يملك ألف رأس وحيث كان من الشائع ان يمتلك الشخص هناك مائتي رأس على الاقل)[٣٥].

كان التبغ واحدا من اهم المحاصيل التي تزرع في الجنوب في مرحلة الاستيطان وقد بدأت زراعته في فرجينيا في ١٦١٢ ثم انتقلت زراعته بعد ذلك الى ميريلاند في ثلاثينيات القرن السابع عشر والى كارولينا الشمالية في ستينيات ذلك القرن. لقد اتسعت زراعة التبغ في الجنوب ولاسيما في فرجينيا بدرجة لم يسبق لها مثيل ولم يشهدها أي محصول آخر ففي جيمستاون عاصمة فرجينيا اقبل الناس جميعا على زراعته بحيث تحولت ارض السوق نفسها الى مزرعة للتبغ[٣٦]، وابدى احد الكتاب قلقة من مخاطر ان تكون فرجينيا (قائمة على الدخان)[٣٧].

وكان السبب في هذه الضجة هو الربح الكبير الذي كان يحققه انتاج التبغ بسبب الطلب الكبير عليه في اوربا، فقد كانت زراعة التبغ عند صرف نفس الجهد ورأس المال تعطي بالمقارنة مع الجنوب مثلا ربحا اكثر بست مرات[٣٨]. ولم تلبث الحكومة الانجليزية ان ادركت الربح الكبير الذي يمكن ان تحصل عليه من التبغ

---

(34) Ibid p.233.

(35) Schlesinger and Fox, Op. Cit. P.30.

(٣٦) نفنز وكومجر ، المصدر السابق ص ٩.

(37) Quoted in Nettels, Op. Cit. P. 231.

(38) Fursenko, Op. Cit. P.27.

الفرجيني الذي يمكن ان يعوضها عن المبالغ الكبيرة التي كانت تصرفها على شراء التبغ الاجنبي ففي ١٦١٥ فقط صرفت انجلترا مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني نقدا لشراء التبغ الاجنبي من اسبانيا اساسا[٣٩] بينما يمكنها الان أي بعد ان توسعت زراعة التبغ في فرجينيا ان تشتريه عن طريق مقايضته بالبضائع الانجليزية، كما ان التجار الانجليز هم الذين سيقومون بهذه العملية وكل ذلك من شأنه ان يوفر لانجلترا الرأسمال النقدي ويوسع الاسواق لبضائعها ويوفر فائدة وربحا لتجارها. ولهذا كله اصدرت الحكومة الانجليزية قرارات تتعلق بانتاج التبغ في العالم الجديد اصبحت التجارة بهذا المحصول بموجبها تدر على الخزينة الملكية دخلا مقداره ١٦ ألف جنيه استرليني سنويا[٤٠].

وهكذا كانت مساحة الارض التي تزرع تبغا في الجنوب تزداد باستمرار. ولم تكن هذه الزيادة تحصل بسبب التوسع في زراعة التبغ وزيادة مساحة المزرعة فقط ولكنها حصلت ايضا بسبب من أن التبغ واسلوب زراعته آنذاك كان ينهك التربة ويقلل من خصوبتها بسرعة الامر الذي يحتم الانتقال الى ارض جديدة لاتلبث ان تنهك هي الاخرى بعد ثلاث او اربع سنوات مما يحتم الانتقال الى غيرها وهكذا. وكانت النتيجة ان ازداد الطلب على الارض واتسعت المضاربة بها بحيث ان العمل بها (ابتلع جهود الامريكان اكثر من أي شيء آخر)[٤١] حسب تعبير أحد الكتاب الامريكان. ونتج عن ذلك ايضا ان انتشر سكان الجنوب في مساحات واسعة جدا الى درجة بحيث ان مزارع فرجينيا وحدها كانت حتى نهاية القرن الثامن عشر تشغل مساحة تعادل مساحة انجلترا باجمعها[٤٢].

كان نظام المزارع الواسعة هذا يتطلب قدرا كبيرا من قوة العمل الرخيصة وقد امكن الحصول على قوة العمل هذه عن طريق استخدام العبيد الزنوج في

---

(39) Nettels, Op. Cit. P. 231.

(40) Fursenko, Op. Cit. P.27.

(41) Quoted in G. Apteker, Amerkan Skaya Revolyutsiya, 1763-1783. Perevod I. 3. Romunova, Moskva 1962, P. 49.

(42) Fursenko, Op. Cit. P.28.

المزارع. وقد ساعد استخدام العبيد في المزارع بدوره على تطور نظام المزارع الكبيرة فلكي يكون العمل مربحا كان لابد ان يكون هناك ٢٠ هكتارا من الارض مقابل كل عبد يشتغل في المزرعة، واذا أخذنا بنظر الاعتبار ضرورة استخدام مراقب يشرف على عمل العبيد وان استخدام المراقب يزيد من المصروفات التي يتكبدها صاحب المزرعة فان عدد العبيد العاملين في المزرعة يجب أن لايقل عن ٢٠ عبدا لكي تكون المزرعة مربحة. وكانت النتيجة أن اصبحت المزارع في الجنوب واسعة جدا فقد بلغت سعة بعضها في كارولينا الجنوبية وجورجيا ٢٠٠٠ هكتار أما في فرجينيا فان المزارع التي تبلغ مساحتها ١٠-٢٠ ألف هكتار كانت تعتبر ظاهرة اعتيادية بل[٤٣] وجدت فيها مزرعة بلغت مساحتها ٧٠٠٠٠ هكتار[٤٤].

والواقع ان عمل العبيد الزنوج لم يكن في بداية الامر هو قوة العمل الرئيسية في المستعمرات الامريكية. ان قوة العمل الاساسية كانت في اول الامر في فرجينيا وميريلاند والكارولينيتين وفي جميع المستعمرات الاخرى تتألف ممن كان يطلق عليهم اسم (الخدم المتعاقدين)[٤٥] وكان عدد الزنوج قليلا نسبيا. وقد استمر الحال كذلك حتى نهاية القرن السابع عشر تقريبا. ففي ١٦٧١ مثلا كان يشتغل في مزارع فرجينيا مايقرب من ٦ ألاف من الخدم المتعاقدين وألفين فقط من العبيد الزنوج علما بان عدد سكان المستعمرة كان ٥٣ ألف نسمة[٤٦]. ولكن لم

---

(43 ) Ibid. P. 28.

(٤٤) رولان موسنيية واخرون ، المصدر السابق ص ٣٥٢.

(٤٥) الخدم المتعاقدون او خدم التعاقد (Indentured Servents) هم الاشخاص الذين لم يكونوا يملكون المال اللازم للهجرة الى العالم الجديد لذا فانهم كانوا يوقعون مع اصحاب السفن والتجار عقودا" تلزمهم بالعمل ما بين ٢-٧ سنوات في وضع يشبه وضع العبد في أي عمل ينسبه لهم صاحب العمل مقابل ما صرف عليهم لتأمين نقلهم الى امريكا.

(46) Fursenko, Op. Cit. P.28.

يلبث عدد الزنوج أن أخذ يتزايد اعتبارا من ١٦٨٠ بفعل عوامل متعددة منها تزايد المنافسة بين مزارعي التبغ مما حتم البحث عن قوة عمل أرخص لتقليل كلفة الانتاج ومنها تأسيس مستعمرة بنسلفانيا في ١٦٨١ التي تحولت اليها اعداد كبيرة من الخدم المتعاقدين القادمين من اوربا بالاضافة الى عزوف اصحاب المزارع عن استخدام الخدم المتعاقدين لانه كان (ينطوي على عيوب متأصلة فالشخص العامل بموجبه يحصل على حريته بالضبط في الوقت الذي يصبح فيه اكثر قيمة لمستخدمه فيكون على هذا الاخير ان يدرب على العمل ايدي جديدة بينما يتحول الخادم المتعاقد الذي حصل على حريته [بعد انتهاء مدة العقد] والذي يحتمل ان يصبح مزارعا ايضا الى منافس لسيده السابق)[٤٧]. لهذا كله اخذ عدد الزنوج بالتزايد في المستعمرات الجنوبية الى ان بلغ في ١٧٧٠ أقل قليلا من نصف عدد مجموع السكان في فرجينيا التي كان عدد سكانها أنذاك ٤٥٠,٠٠٠ نسمة، وثلث مجموع السكان البالغ عددهم ٢٠,٠٠٠ نسمة في ميلاند، اما في كارولينا الجنوبية فقد كان عددهم اكثر من عدد البيض بنسبة أثنين الى واحد[٤٨]. وكانت سعة المزرعة تزداد بمقدار ما كان يزداد ورود العبيد من افريقيا فقد زاد معدل حجم المزرعة في فرجينيا مثلا من ٦٥ هكتار في المدة ١٦٢٦ - ١٦٣٢ الى ٢٨٠ هكتار في ١٦٩٥-١٧٠٠ [٤٩].

وهكذا تعزز في الجنوب منذ نهاية القرن السابع عشر نظام المزارع الكبيرة القائم على عمل العبيد وكان ذلك مشروطا الى حد كبير بالطلب على التبغ في السوق الاوربية. وكانت المزارع الكبيرة كقاعدة تنتج بالاضافة الى التبغ والمحاصيل الاخرى التي تذهب للتصدير محاصيل غذائية بكميات تكفي للاستهلاك

---

كان عدد سكان المستعمرات في ١٦٩٠ يبلغ حوالي ربع مليون وكان يتضاعف كل خمس وعشرين سنة الى ان اصبح في ١٧٧٥ اكثر من مليونين ونصف .

United States Information Service, Op. Cit. P. 9.

(47) Nettels, Op. Cit. P.232.

(٤٨) نفنز وكومجر ، المصدر السابق ، ص٤٧.

(49) Fursenko, OP. Cit. PP. 28-29

السنوي، فقط أي ان كل مزرعة كانت تكتفي عادة بما تنتجه هي بواسطة عمل العبيد من تلك المحاصيل. ولكن العمل العبودي في المزارع الكبيرة لم يلبث أن اخذ يعاني من ازمة عميقة لم يتخلص منها ويتحول الى عمل مريح لاصحاب المزارع الا في نهاية القرن الثامن عشر وبالارتباط مع الثورة الصناعية التي قامت أنذاك في انجلترا من جهة ومع تحول الامريكان الى زراعة القطن من جهة ثانية. وكانت هذه الازمة نتيجة لعدد من الاسباب يأتي انخفاض اسعار التبغ بشدة في مقدمتها.

كان السبب في انخفاض اسعار التبغ يكمن في تزايد انتاجه سنة بعد اخرى ففي ١٦١٩ بلغت كمية التبغ المصدر من امريكا ٨ ألاف كيلوغرام وقد تضاعفت هذه الكمية في السنة التالية وبلغت بعد عقدين من الزمن ٦٠٠ ألف كيلوغرام واستمرت بالتزايد حتى بلغت في ١٦٩٠ ثمانية ملايين كيلوغرام وفي ١٧٧٥ مايقرب من ٤٠ مليون كيلوغرام[٥٠]. وادت زيادة الصادرات هذه بالاضافة الى ان اقطارا اخرى اصبحت تنتج التبغ ايضا الى انخفاض اسعار هذا المحصول. وكان الهبوط بالاسعار كبيرا ومحسوسا ففي خلال عشرين سنة فقط بين ١٦١٩و١٦٣٩ هبطت الاسعار بمقدار عشر مرات تقريبا[٥١]. وقد ادى هبوط اسعار التبغ الى افلاس اصحاب المزارع الكبيرة وزيادة مديونيتهم للتجار الانجليز الذين كانوا يوردون البضائع الصناعية الى امريكا مقابل التبغ، الامر الذي اوقع اصحاب المزارع في تبعية مقيته لليبوتات التجار في لندن[٥٢]. ورغم كره اصحاب المزارع لهذا الدين ومحاولاتهم التخلص منه آلا انه كان يتزايد مع الوقت حتى بلغ مجموع ديون المستعمرات الامريكية في نهاية المرحلة الكولنيالية خمسة ملايين جنيه استرليني تقع خمسة اسداسها على اصحاب المزارع الكبيرة [٥٣].

---

(50) Ibid. P. 29.

(51) Ibid. P. 29.

(52) Apteker, Op. Cit. P. 48.

(53) Fursenko, Op. Cit. Foot note 62, P. 29.

كان تأثير أنخفاض الاسعار شديد السوء على المزارعين ولاسيما على الصغار منهم الذين لاتتيح لهم امكاناتهم الصمود طويلا امام الخسائر التي احاقت بهم بسبب هذا الانخفاض علما بان البعض منهم لم يكن يزرع أي محصول اخر غير التبغ. وقد حاول صغار المزارعين هؤلاء المقاومة وكانوا في بعض الاحيان يقومون بتدمير التبغ في المزارع الكبيرة. ذلك ماحصل مثلا في ١٦٨٢ حين هبطت بشدة اسعار التبغ نتيجة لعدة سنين من المحصول الجيد فقام المزارعون بانتفاضة دمرت نتيجتها في عدد من مناطق فرجينيا مساحة كبيرة من الارض المزروعة.

وقد حاول اصحاب المزارع الكبيرة من جانبهم تلافي التذبذب في اسعار التبغ وطالبوا باقرار سعر ثابت له وشكلوا لهذا الغرض نواد واتحادات تجارية خاصة وعقدوا فيما بينهم اتفاقات بشأن تقليص المساحة المزروعة واقرت الجمعيات التشريعية في المستعمرات قوانين عين بموجبها حد ادنى لسعر التبغ وقلص انتاجه وتصديره. وحدث مرة في فرجينيا ان اشترت السلطات في المستعمرة كمية لايستهان بها من التبغ وقامت بحرقها تلافيا لانخفاض سعره[٥٤]. غير ان جميع هذه التدابير لم تؤد الى النتيجة المرجوة وظلت الزراعةالقائمة على المزارع الكبيرة في الجنوب تعاني من ازمة مستفحلة حتى العقد الاخير من القرن الثامن عشر أي حتى قيام الثورة الصناعية في بريطانيا واتجاه المزارعين الامريكان الى زراعة القطن الذي تحتاجه تلك الصناعة.

والخلاصة ان واقع الزراعة في المستعمرات الانجليزية في المرحلة موضوع البحث لم يكن جيدا وحياة الفلاح لم تكن بهيجة. الصورة القاتمة لواقع الزراعة في امريكا انذاك رسمها أحد الباحثين الامريكان عندما كتب يقول : (لقد كانت حياة صعبة وبدائية وهزيلة تلك التي كان الفلاح الاعتيادي يعيشها فادواته كانت هي الادوات المألوفة في بابل القديمة... ان رخص الارض ووفرتهاولد نوعا من الزراعة التي تستنفذ خصوبة التربة بسرعة. ان فلاح القرن السابع عشر لم

---

(54) Ihid. P. 30.

يعتد استخدام المخصبات واعتماد نظام تناوب المحاصيل مفضلا ترك الارض بورا لتنمو فيها الاعشاب ولم تفلح هذه الطريقة باعادة انتاجها. اما الراعي فكان بشكل عام فقيرا جدا... الخيول والخنازير التي كانت تغريها على الدوام حقول الحبوب النامية والبساتين والحدائق كانت تميل الى القفز فوق الحواجز الخشبية البسيطة لكي تشارك في الوليمة... اشجار الفاكهة كانت تنمو دون ان تحظى بالتشذيب او التطعيم تهاجمها مختلف الطفيليات التي تستعصي على فهم الفلاح. سحب البعوض والذباب كانت ترهق الانسان والحيوان على السواء. الفراخ كانت تسقط فريسة للراكون وابن عرس والمنك. والجرذان تدعو نفسها لأكل اللفت والكرنب والسناجب والغربان كانت تمرح في حقول الذرة)[٥٥].

---

(55 ) Nettets, Op. Cit. PP 236-237.